مقدمــة

لقد أراد الناس دوماً أن يعرفوا من صنع هذا العالم، ومن يدير شؤونه، وبمن يرتبط مستقبله؟

لقد أحس الإنسان دوماً أن هناك كائن أعلى. وكانت تصورات القبائل والشعوب عن هذا الكائن مختلفة. كما كانت تتغير دائماً مع مرور الزمن. فقد سار الإنسان رويداً رويداً، وخطوة خطوة على الطريق التي كانت تدنو به نحو الحقيقة، نحو الفهم الصحيح لبنية العالم الذي يعيش فيه، وإدراك خالق هذا العالم، وتحديد المكان الذي يشغله فيه. بيد أن الإنسان لم يُعطَ إمكانية فهم العالم فهماً كاملاً. ولكن ليس هذا هو المهم، إنما المهم هو:

في أي طريق يسير الإنسان؟ وإلى أين تقوده طريقه تلك: إلى السلام، إلى محبة القريب، إلى تبادل العون والمغفرة؟

لقد سار الإنسان على هذه الطريق دائماً. فمن حيث الجوهر كانت مساعيه ومثله متشابهة في مختلف العصور. فهو كان متعطشاً للعدالة دائماً، وآمن بأن العالم يستند إليها، وبأنها سوف تنتصر في آخر المطاف. وهي إذا لم تَسُد في هذا العالم، في هذه الدنيا، فإنها سوف تسود في العالم الآخر، في الحياة الأخرى. ومن المستحيل أن يندثر في الإنسان إيمانه بالعدالة، وسعيه إلى بلوغها. فحياة الإنسان محكومة بهذا الإيمان.

ونحن لا نقول جديداً إذا قلنا:

إنه ليس ثمَّة تناقض بين مختلف الديانات التي تعد ديانات حقيقية (هذا إذا تجاوزنا الشكليات التي غالباً ما يعطيها المؤمنون أهمية كبيرة). ولكي نقتنع بهذا ينبغي أن ننظر بعمق أكثر في جوهر الديانات. وهذا ما حاولنا أن نفعله في هذا الكتاب. ومن يقرأها سوف يدرك أن الطريق أمامنا نحن المسيحيون، والمسلمون، والبوذيون، واليهود و...، هي طريق واحدة، فكلنا يريد أن يعيش بسلام وبحبوحة ومحبة. وسوف نتذكر دائماً أن محبة الرب هي محبة القريب «أحبب قريبك كما تحب نفسك».